الدروس المستفادة
أولاً : بشأن الحرب عموما

إذا كان حدث من الأحداث الذى يعرض فى حياة فرد من الأفراد يمكن أن يؤثر تأثيراً حاسماً فى حياة هذا الفرد من الناس أو ذاك ، فلقد شاءت إرادة الله أن تكون الحرب ذات تأثير حاسم فى حياة البشر كشعوب وأمم . ولكم تغيرت وتبدلت حياة شعوب وأمم نتيجة للانتصار أو للهزيمة فى حرب من الحروب .

وللحرب مستويات ثلاثة مترابطة لا يمكن فَهْمُ مجريات الحرب دون الانتباه والالتفات إليها وهى :

(أ) التكتيك Tactics وهو فن تحريك القوات **على** أرض المعركة ، أو هو فن تنظيم القُوى الحربية لتحريكها للقتال الفعلى مع العدو ، أو هو فن اختيار أفضل طريقة أو أفضل نهج للقتال بحيث تحقق القوات العسكرية أفضل النتائج فِي الحربِ . وكلمة التكتيك مشتقة أصلا من كلمة "Tact" التى تعنى الذوق الحسنَ أو اللباقة فى التصرف باختيار أحسن وأفضل أساليب التصرف. والرجل البارع فى التكتيك أو الذى يُسْنَد إليه اختيار التكتيك المناسب للتشكيلات العسكرية يطْلَق عليه فى إطار اللغة الإنجليزية اصطلاح Tacticion وقد يستخدم اصطلاح التكتيك فى تصريف الشئون السياسية للدولة بالنظر إلى اختيار المسئول السياسى لأفضل الأساليب فى معالجة المشكلات السياسية خصوصا عندما يقتضى رسم السياسة خطوات متتالية لتنفيذها على مراحل متتالية ، كما أن التكتيك ربما يمارسه الأفراد فى تصريف شئونهم اليومية أو العائلية أو الاقتصادية عندما تكون الأهداف بحاجة إلى خطوات وإلى اختيار بين بدائل متعددة لبلوغ الأهداف المنشودة . والتكتيك الناجح هو التكتيك الذى يصل إلى النجاح فى الواقع الفعلى ومن هنا تنبع أهمية التكتيك الناجح لارتباطه بتحقيق النجاح وجنى ثمار الكفاح أو الصراع فى الواقع الفعلى . ومع أن التكتيك هو المستوى الأخير من مستويات تقييم الحروب إلا أننا آثرنا أن نضعه فى المقام الأول من مستويات تقييم الحرب نظرا لأهميته فيما يتعلق بالواقع الفعلى لنتائج

الحرب وفيما يتعلق بجنى ثمار الحرب بحلوها أو بمرها ، بحلاوة النصر أو بمرارة الهزيمة .

(ب) اللوجستيك Logistics وهو فن تحريك القوات **إلى** أرض المعركة . وسنرجئ المزيد من التفاصيل المتعلقة باللوجستيك إلى موضع آخر .

(جـ) الاستراتيجية : وهى النظر بعين الاعتبار إلى بعض الأماكن الجغرافية والهيئات الطبوغرافية من حيث تأثيرها على المعركة أثناء وضع خطط المعركة .

والاستراتيجية مشتقة من الكلمة الإنجليزية Stratagem وهى تعنى : الخطة الحربية Military Plan والمكان الاستراتيجى هو المكان الذى ينظر إليه بعين الاعتبار عند وضع الخطط الحربية . ولقد اتسع نطاق استخدام هذا الاصطلاح فأصبح يعنى أية اعتبارات مهمة فى سياسة الدولة ، بل أصبح يعنى مجمل سياسة الدولة . وأصبح هذا الاصطلاح يطلق أيضا على بعض السلع والمواد ذات الأهمية الخاصة فى مجريات الحرب أو معيشة سكان الدولة عندما يقال إن البترول مثلا مادة استراتيجية أو أن القمح سلعة استراتيجية .

وربما كانت الاعتبارات اللوجستيكية من حيث ترتيب أولويات ومطالب الحرب هى أول الاعتبارات اللازمة لإدارة معركة من المعارك أو لخوض حرب من الحروب .

أىٌّ نوع من الأسلحة توفره الدولة لمحاربيها ؟ ما كميته ؟ ما مدى فاعليته ؟ هل هو هجومى ؟ هل هو دفاعى ؟ ما مدى تأثيره فى حسم المعركة ؟ هل يتم تصنيعه على أرض الدولة أم أن الدولة تستورده من دولة أخرى ؟ ما ظروف استيراده ؟ وما هى الاحتمالات الحالية والمنتظرة فيما يتعلق بشأن استيراده ؟ وما هى طرق المواصلات التى يسلكها حتى يصل إلى أرض الدولة التى تستورده ؟ وما هى طرق المواصلات التى يسلكها حتى يصل إلى أيدى القوات التى تستخدم السلاح والذخائر الخاصة به ؟ وما هو مدى الحماية المتوفرة للحفاظ على السلاح بمعاونة الأسلحة الأخرى وفى معاونتها بحيث لا يتمكن العدو من تدميره أو الاستيلاء عليه ؟ هذه كلها أسئلة لوجستيكية متعلقة بفن تحريك «السلاح إلى» أرض المعركة .

وعلى الرغم من وجود تداخل بين اللوجستيك والشئون الإدارية إلا أن الفرق بينهما فرق كبير وشاسع إذ أن اللوجستيك يتعلق أساسا بأنواع وكميات الأسلحة والذخائر التى تحشدها الدولة لكى تكسب قواتها المسلحة المعركة ، أما الشئون الإدارية فهى تتعلق بكيفية توصيل المواد العسكرية اللازمة للقوات المسلحة فى كل ميدان المعركة وخاصة المواد اللازمة للإعاشة كالملابس والطعام والماء والوقود ووسائل التسلية والترفيه وغير ذلك ، أما اللوجستيك فهو يتعلق بمجال الأسلحة والذخائر فقط .

ويستخدم الفرنسيون اصطلاح «المكتب الرابع» للدلالة على شئون التسليح والشئون الإدارية بالقوات المسلحة كما يطلقون على شئون إدارة العمليات المسلحة تكتيكيا اسم «المكتب الثالث» باعتبار أن «المكتب الثانى» هو مكتب القيادة العامة والاستطلاع والمخابرات للجيش أو لمجموعة الجيوش وباعتبار أن «المكتب الأول» هو القيادة السياسية فى الدولة .

وعندما يأخذ قائد عسكرى ما وفرته له دولته على المستوى اللوجستيكى ويأخذ قواته ويصل بها إلى أرض المعركة فهو يستطيع أن يبدأ بها مرحلة التكتيك «على» أرض المعركة عندما يحشدها ويحركها ويستخدمها بطريقة أو بأخرى .

والقائد العسكرى يستفيد أو لا يستفيد من مواقع استراتيجية فى أرض المعركة حسب ذكائه ومدى خبرته ومعرفته بتفاصيل أرض المعركة سواء فى ذلك تفاصيل الأرض التى تحت سيطرته أو الأرض التى تكون تحت سيطرة خصمه وحسب كفاءة وبراعة قوات استطلاعه التى تمكنه من معرفة أدق التفاصيل عن طبيعة الأرض ومواقع وحشود ومدى تسليح قوات العدو .

هذه هى أهم المستويات «المادية» فى تقييم الأعمال العسكرية ويضاف إلى ذلك الإمكانات العقلية وإمكانات الذكاء والموهبة لدى القادة ومدى رقى وسعة خيالهم العسكرى وقدراتهم على إدراك أبعاد الموقف العسكرى ومستوى قدرتهم على «الخيال العسكرى» الذى يمكنهم أن يتوقعوا ويحدسوا شكل المعركة وكيفية حدوثها والنتائج المرجحة للنصر والهزيمة قبل بداية المعركة لتكون نتائج المعركة بعد انتهائها مطابقة لتصوراتهم قبل بدايتها .

ويتصل بأعمال الحرب أيضا مدى تدريب الجنود والصف ضباط والضباط وقادة التشكيلات القتالية على استخدام الأسلحة أفضل استخدام لها مع القدرة على إصلاح أعطالها إلى أكبر حد ممكن . كما يتصل بأعمال الحرب أيضا مستوى تعليم وثقافة الجنود والضباط وقادة التشكيلات ونوعية الأعراف والتقاليد العسكرية وخصوصا ما يتعلق بالضبط والربط وحسن الانقياد وكيفية تلقى الأوامر السليمة وكيفية تفهمها ومناقشتها وتنفيذها وما يتعلق بوجود قوانين عسكرية على مستوى عال من الجودة وعموم النفاذ على كافة الرتب الصغيرة والكبيرة وما يتعلق أيضا بوجود تنظيم دستورى يحدد تخصصات مستويات القيادات العامة والعليا بالقوات المسلحة .

•• ثانيا : بشأن الحرب والسياسة ••

من الذى خلق الأرض والسماء والهواء والماء فى الأنهار والبحار وخلق الوديان والجبال لتتشكل عليها الحدود السياسية للدول التى يعيش بداخلها البشر؟ إنه الله سبحانه وتعالى رب العالمين . ولماذا لم يخلق الله البشر أمة واحدة فى دولة واحدة يتكلمون لغة واحدة ؟ ذلك لحكمة إلهية خالدة اقتضتها المشيئة الإلهية الحكيمة العليمة القادرة . وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى فى القرآن الكريم : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة : ٤٨] .

وهكذا إذن شاءت إرادة الله ألا يكون الناس أمة واحدة ، ولكنهم أمم متعددة ودول كثيرة لكل دولة منها أو لكل أمة تضم أكثر من دولة لغة يتكلمونها ورقعة من الأرض يعيشون عليها ويستمدون مقومات حياتهم من خيراتها وهذه الرقعة من الأرض التى تقوم عليها الدول ذات حدود سياسية تتسع أو تضيق وفقا لمجريات التاريخ وما يحفل به التاريخ من أحداث وصراعات ومنازعات وحروب تنشب بين الدول دفاعا عما تعتبره كل دولة منها مصلحة حيوية لها . وتتقدم الحياة بالبشر جيلا بعد جيل ، سلما وحربا إلى ما شاء الله سبحانه وتعالى .

والعلاقة وثيقة إذن بين السياسة والحرب وقد عبر عن هذه الحقيقة(*) المؤرخ

(*) انظر : فى الحرب – تأليف الجنرال كارل فون كلاوزفيتز – ترجمة : أكرم ديرى والمقدم الهيثم الأيوبى ص ٩٨ – دار الكتاب العربى بالقاهرة .

العسكرى الشهير الجنرال «كارل فون كلاوزفيتز» بقوله : «الحرب إنما هى استمرار للسياسة بوسائل أخرى» .

وإذا كانت السياسة بكل إيجاز ووضوح هى اختيار الشعب لنظام الحياة والدفاع عن مصالح الشعب داخل الدولة وفى علاقاتها مع الدول الأخرى لتحقيق أكبر قدر من مصالح الدولة والشعب ، نجد أن السياسة لكى تحقق مصالحها الحيوية قد تتصادم مع المصالح الحيوية لدولة أخرى ، وعندما تفشل إحدى الدول فى تحقيق التفاهم والمصالحة مع دولة أخرى قد تلجأ الدولة إلى الحرب المسلحة ضد الدولة الأخرى لكى يتحقق لها بالحرب ما عجزت الدولة عن تحقيقه بالسياسة .

والحرب بناء على ذلك إنما هى عملية بشرية ، الإنسان فيها هو السبب والهدف ، والإنسان فيها هو الوسيلة والغاية فى آن واحد . والحرب حوار بين سياسة وأهداف ومصالح دولة ، وسياسة وأهداف ومصالح دولة أخرى باستخدام القوة المسلحة المتاحة لكل من الدولتين حسب مقدرة كل من الدولتين على تحريك قواتها المسلحة ضد الدولة الأخرى بحيث تخضع إحداهما إرادة الدولة الأخرى لإرادتها بتدمير قواتها المسلحة أو باحتلال كل أراضيها أو باحتلال جزء من أراضيها وعدم إعادته إليها إلا بشروط تفرضها الدولة المنتصرة فى الحرب على الدولة المهزومة .

ونظرا للعلاقة الوثيقة بين الحرب والسياسة ، ونظرا لكون الحرب امتدادا واستمراراً للسياسة بوسائل عسكرية بعد استنفاد الوسائل السياسية صار فى أذهان المفكرين السياسيين والعسكريين سؤال هو : هل تسيطر السياسة ويسيطر السياسيون على شئون الحرب وإدارتها أم تسيطر العسكرية ويسيطر العسكريون على شئون السياسة للوصول إلى النجاح المنشود فى الحرب وفى السياسة ؟

واختلفت الآراء فى هذا الصدد . قال «كلمنصو» وزير خارجية فرنسا الأسبق: «الحرب مسألة أكثر خطورة وجدية بحيث يستحيل أن نتركها للعسكريين وحدهم» . وقال ديجول : «إن السياسة مسألة أكثر خطورة وجدية وتأثيرا على مصير الشعب بحيث يستحيل أن يتركها العسكريون للساسة

وحدهم» . وأصبح الخلاف فى الرأى فيما يتعلق بالعلاقة بين الحرب والسياسة وأيهما يجب أن يهيمن على الآخر فيما بين هاتين المقولتين .

ويقتضينا الإيجاز والإنصاف فى حسم هذا الخلاف بين ضرورة هيمنة السياسة على الحرب أو هيمنة الحرب على السياسة إلى التنبيه إلى حقيقة مهمة هى وجود التآزر والاتفاق وتنظيم التعاون وتحديد المسئوليات بين رجل السياسة ورجل الحرب فى الدولة .

وما الذى يمنع فى حقيقة الأمر أن تكون لدى رجل السياسة خبرات وثقافة عسكرية رفيعة المستوى ؟ وما الذى يمنع فى حقيقة الأمر أن تكون لدى رجل الحرب أو القائد العام العسكرى لجيش من الجيوش خبرات وثقافة سياسية رفيعة المستوى ؟ ولماذا نفترض بالضرورة وجود صراع وتنازع واختلاف فى وجهات النظر بين رجل السياسة ورجل الحرب ؟ إن وجود مثل هذا الصراع والتنازع والاختلاف ظاهرة مرضية سيئة وليست ظاهرة صحية سليمة وهى من أهم أسباب الفشل فى إدارة صراع سياسى أو عسكرى بين دولة ودولة أخرى . الصواب هو الاتساق والتعاون بين رجل السياسة فى الدولة ورجل الحرب ، والخطأ هو وجود عدم اتساق وانعدام التعاون بين رجل السياسة ورجل الحرب والشواهد على ذلك كثيرة فى التاريخ . وأكبر الهزائم والنكسات العسكرية لدولة من الدول على مدار التاريخ إنما تعزى لاستبداد زعيم سياسى لا يتمتع بخبرات عسكرية سليمة ويزج بجيش دولته فى حرب ضد دولة أخرى ويتدخل فى إدارة الحرب دون أن يكون ملما إلماما كافيا بالخبرات العسكرية على مستوى لائق لإدارة الحرب . كما أن استيلاء بعض القادة العسكريين على سلطات الحكم فى إحدى الدول دون أن تكون لديهم الخبرات السياسية على مستوى لائق كثيرا ما أفضى إلى كوارث أصيب بها شعب الدولة التى اغتصب عسكريون خبراتهم السياسية دون المستوى على سلطات الحكم فى الدولة وهكذا كان شأن موسولينى الفاشستى وهتلر النازى فى الحرب العالمية الثانية . وربما كانت لدى موسولينى خبرات سياسية باعتبار أنه كان حاصلا على درجة الدكتوراه فى الفلسفة ، ولكن أثبتت أحلامه المجنونة فى ضرورة أن تستعيد إيطاليا أمجاد الإمبراطورية الرومانية ، وعدم درايته بالاعتبارات والشئون العسكرية أفضى إلى

هزيمة إيطاليا فى الحرب العالمية الثانية لتدخله فى الشئون العسكرية دون خبرة أو دراية ولسذاجة ثقافته السياسية التى كان يغلب عليها الجانب النظرى دون خبرة بالجوانب العملية فى ممارسة السياسة الدولية .

ولقد سبق أن أشرنا إلى كيفية وصول هتلر إلى الاستيلاء على مقاليد السلطة فى ألمانيا بالمزج بين استخدام القوة العسكرية المتمثلة فى قوات العاصفة المسلحة التابعة لحزبه النازى واستخدام الأساليب السليمة المستندة إلى انتخابات الرايخشتاج تحت تأثير تدخل قوات العاصفة الخاضعة لسيطرته وتحت تأثير الخطب الرنانة والأساليب الديماجوجية والعزف على أوتار أحلام الشعب الألمانى وبعد استيلاء هتلر على السلطة تعوزه الخبرات السياسية اللازمة حيث إنه لم يكمل تعليمه بالمرحلة الثانوية ولم يمارس العمل بالسياسة إلا بطريقة ديماجوجية فجة ، اتجه هتلر إلى التدخل بغباء فى إدارة شئون الحرب العالمية الثانية فى ألمانيا تسانده قوات العاصفة أيضا فى سيطرته على القادة العسكريين الألمان العظام الذين عملوا تحت قيادته دون أن يتمكنوا من عدم تنفيذ قراراته العسكرية الخاطئة المهلكة(*) أثناء الحرب العالمية الثانية على نحو ما هو معروف بعد انتهاء هذه الحرب ودراسة تطوراتها وأحداثها .

ليس ثمة ما يدعو فى حقيقة الأمر إلى افتراض وجود تعارض وتضاد وتصادم بين رجل السياسة فى الدولة ورجل الحرب فى الدولة وكأن هذا التعارض والتضاد والتصادم ضربة لازب . إن هذا التعارض خطأ خطير فى حالة وجوده والخطأ لا يقاس عليه .

ومن الحكمة بمكان أن نستفيد فى الحاضر من دراسة الماضى والتاريخ ووقائع الحروب السابقة . وتجارب ووقائع وأساليب الحرب العالمية الثانية معين لا ينضب من الدروس المستفادة لكل من يشاء الاستفادة . ولو أننا طبقنا خلاصة هذه الدروس فى حاضرنا لأمكننا الوصول إلى أفضل النتائج .

(*) انظر كتاب : القرارات المهلكة – تأليف مجموعة من القادة الألمان مثل : الجنرال سيجفريد ويستفال ، والجنرال فرتيز بايرلين والجنرال هاسوفون مانتوفيل وغيرهم – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت . ترجمة : رشيد صالح ومراجعة : المقدم الهيثم الأيوبى .

•• ثالثا : بشأن الهدف من الحرب والهجوم والدفاع ••

ما الهدف من الحرب ؟

اتساقا مع التعريف الأكثر شهرة للحرب الذى سبق أن أشرنا إليه وهو أن الحرب امتداد للسياسة بوسائل وأساليب عسكرية غير سياسية بعد أن عجزت الأساليب والوسائل السياسية فى تحقيق أهداف الدول بما يكفل تحقيق مصالحها الحيوية .

ولكن ، ما هى مصالح الدول الحيوية ؟ إن مفهوم «المصالح الحيوية» لدولة من الدول يتعارض مع المصالح الحيوية لدولة أخرى من الدول أو لمجموعة من الدول الأخرى .

مصلحة حيوية لدولة إسرائيل مثلا أن تعترف الدول العربية بمشروعية قيام دولة إسرائيل على أرض دولة فلسطين العربية . وتعتبر الدول العربية المحيطة بدولة إسرائيل أن قيام دولة يهودية الديانة عبرية اللغة على أرض دولة فلسطين العربية مضاد لمصالحها الحيوية وتهديدا مباشرا لأمنها .

وتعتبر دولة كبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية أن تأمين وجود وبقاء إسرائيل فوق أرض فلسطين العربية يحقق مصالحها الاستراتيجية فى شرق البحر المتوسط وفى منطقة الشرق الأوسط باعتبار أن إسرائيل تعتبر من وجهة النظر الأمريكية بمثابة حاملة طائرات ضخمة فى شرق منطقة البحر المتوسط ومنطقة الشرق الأوسط لا تحمل الطائرات فحسب ولكن تحمل المدرعات والمدفعية والصواريخ والقنابل الذرية والقوات البشرية اللازمة لاستخدام هذه الأسلحة فى كل منطقة الشرق الأوسط ولذلك تدعم الولايات المتحدة الأمريكية وجود إسرائيل وتتكفل بكل متطلبات وجودها اقتصاديا وعسكريا وسياسيا ومن كافة الوجوه .

ماذا عساها أن تكون المصالح الحيوية لألمانيا فى الحرب العالمية الثانية مما جعلها تشعل نيران الحرب فى العالم كله ؟ ربما كانت مصالح ألمانيا فى استرداد المقاطعات التى انتزعت منها وضمت إلى دول أخرى ومازال أهل هذه المقاطعات يتكلمون اللغة الألمانية آنذاك تعتبر مصالح معقولة . وربما كان

التوقف عن دفع الغرامة الحربية مصلحة معقولة . وربما كان عدم التقيد بقيود معاهدة فرساى العسكرية وتقليص حجم الجيش الألمانى إلى مائة ألف رجل مصلحة معقولة . وعندما حقق هتلر هذه المصالح المعقولة لألمانيا فى مستهل الحرب العالمية الثانية هو الذى جعل هتلر يحظى بحب وتأييد وتمام انقياد الشعب الألمانى لزعامته والخضوع لقراراته كما لو كان الشعب الألمانى قد تم تنويمه مغناطيسيا .

ولكن أى مصلحة لألمانيا فى احتلال كل أراضى فرنسا التى يتكلم أهلها اللغة الفرنسية ولهم كل مقومات الدولة المستقلة منذ بدء التاريخ حتى اليوم ؟ وأى مصلحة لألمانيا فى احتلال السويد والنرويج والأراضى الروسية ؟ وأى مصلحة لألمانيا فى شن الحرب الجوية على بريطانيا ؟ وأى مصلحة لألمانيا فى الهيمنة على شئون إيطاليا واليونان بحيث تتواجد جيوش ألمانية فوق كل أراضى إيطاليا ؟ وأى مصلحة لألمانيا فى إنزال قوات ضخمة فى شمال إفريقيا كما لو كان الألمان هم مبعوثو العناية الإلهية لإنقاذ القوات الإيطالية فى شمال إفريقيا من الهزائم الساحقة التى لحقت بالإيطاليين على يد القوات البريطانية بقيادة الجنرال أوكينور ؟ بل أى مصلحة لإيطاليا فى تحريك قواتها فى محاولة فاشلة للهجوم على مصر لمحاولة سحق القوات البريطانية فى مصر لتصبح مصر مستعمرة إيطالية أو ألمانية لو تمكنت إيطاليا أو ألمانيا من الانتصار على القوات البريطانية فى مصر ؟

ومن العجيب أن الفيلد مارشال إروين روميل كان هو القائد العسكرى الوحيد الذى سأل هتلر قائلا له : «ماذا تريد بالضبط ؟ هل تريد أن تحارب وتهزم العالم كله ؟» .

وعندما طلب روميل والفيلد مارشال رونشتدت فى اجتماع لهما مع هتلر بشأن الجبهة الفرنسية من هتلر إرسال ثلاث فرق مدرعة لتدعيم الدفاعات الدفاعية بعد أن تكون قد فقدت نسبة كبيرة من أفضل رجالها وأفضل أسلحتها وعتادها. فى تشيكوسلوفاكيا وهولندا وبولندا وفرنسا كانت الجيوش الألمانية جيوشا مهاجمة وكذلك الحال فى روسيا وفى شمال إفريقيا . وحتى عندما

تراجعت الجيوش الألمانية على كافة الجبهات فى عام ١٩٤٣ وأصبحت تحارب داخل حدود ألمانيا ذاتها فى معركة الأوردين كان هتلر يفضل الحرب الهجومية لوجود فكرة خاطئة فى رأسه مؤداها أن الهجوم هو أفضل وسيلة للدفاع .

ولقد تعارف الناس على أن للحرب شكلين أو نمطين هما الحرب الدفاعية والحرب الهجومية . ويؤكد الجنرال كلاوزفيتز أن للدفاع غرضا سلبيا هو الحفاظ على أراضٍ تابعة للدولة وهو الحفاظ على مصالح الدولة لتبقى على ما هى عليه ، وللهجوم غرض إيجابى هو احتلال أراض تابعة لدولة أخرى أو انتزاع بعض المصالح منها رغم إرادتها اعتماداً على استخدام القوات المسلحة .

ومن المعروف أن الدفاع أسهل نسبيا من الهجوم حيث يتسنى للقوات المدافعة أن تختار الأرض المناسبة لبناء دفاعاتها وتحصينها بينما تكون القوات المهاجمة مضطرة إلى الحرب فى مواقع ليست من اختيارها بل هى من اختيار الجانب المدافع .

كما أن أى تأخير فى شن الهجوم يكون فى مصلحة القوات المدافعة فى الغالب الأعم حيث تكون أكثر قدرة على تنظيم الدفاع ما لم تصل إلى القوات المهاجمة إمدادات قوية لتعزيز الهجوم . ومن المعروف أنه يشترط لنجاح الهجوم فى الغالب الأعم أن تكون القوات المهاجمة ثلاثة أمثال القوات المدافعة أو ضعفها على الأقل لضمان نجاح الهجوم فى الظروف المعتادة ما لم تطرأ ظروف وعوامل خارقة للعادة لتحديد نتيجة الحرب بين القوات المهاجمة والقوات المدافعة .

وليس من الضرورى أن تكون المعركة الدفاعية معركة دفاعية محض دفاع أو أن تكون المعركة الهجومية معركة هجومية محض هجوم . وقد تتحول القوات المدافعة إلى القيام بهجمات مضادة لضرب القوات المهاجمة والقضاء عليها لإفشال هجومها وإجهاضه والحيلولة دون بلوغ أهدافه وهو ما يعرف بالهجوم المضاد الذى يتطلب حشد قوات كبيرة وقوية أكبر وأقوى من القوات المهاجمة فى الغالب الأعم وإلا يفشل الهجوم المضاد لتصبح القوات المدافعة أكثر ضعفا مما كانت عليه قبل أن تشن هجومها المضاد ولذلك يلزم الحذر الشديد من

جانب القوات المدافعة عند اتخاذ قرارها بشن الهجوم المضاد . كما أن القوات المهاجمة قد تتحول إلى الدفاع عند مرحلة معينة من الهجوم لتعزيز مواقعها وصد الهجمات المضادة للقوات المدافعة بنجاح للحفاظ على المكاسب لو كانت قد تحققت للقوات المهاجمة أى مكاسب . وتهتم القوات المهاجمة أيضا بتأمين الأرض التى اكتسبتها من العدو المدافع وذلك بترك بعض الوحدات وراءها تحقيقا لهذا الغرض .

ولا ريب أن كل مسئولية الحرب تقع على الجانب المهاجم ما لم تكن القوات المهاجمة تشن الحرب لاستعادة أراض سبق أن احتلها العدو من أراضيها وهذا هو الشأن الذى يتعلق بمدى عدالة ومشروعية الحرب من عدم العدالة والمشروعية فى الحرب . وتحاول كل دولة تشن الحرب على دولة أخرى أن تبرر قيامها للحرب محاولة إضفاء المشروعية على أعمالها القتالية وتدعى كافة الادعاءات اللازمة لذلك ، ولكن الادعاء شيء ، والحق والعدل والمشروعية شيء آخر . وتستطيع أى دولة أن تدعى ما تشاء ولكن التاريخ والضمير الإنسانى هو الذى يحكم على عدالة ومشروعية الحرب من عدمه . ويبقى على الدوام أن الدفاع مشروع وأن الهجوم عدوان غير مشروع ما لم يكن لاسترداد أراض سبق أن اغتصبت بالقوة المسلحة .

•• جنون هتلر أشعل الحرب العالمية الثانية :

ويلاحظ بوجه عام أن الحرب العالمية الثانية التى أشعل نيرانها هتلر وموسولينى كانت حربا هجومية غير مشروعة ولا مبرر لها خصوصا بعد أن استردت ألمانيا فى بداية الحرب العالمية الثانية كل ما كانت قد خسرته فى الحرب العالمية الأولى وبموجب معاهدة فرساى . ولو كان هتلر قد توقف عند هذا الحد وجنح إلى السلم واستجاب لمشورة مستشاريه من قدامى العسكريين الألمان وقدامى الساسة الألمان لكان قد حقق لألمانيا أحلى وأكبر أمانيها ولكان بطلا تاريخيا دون جدال . ولكن هتلر استغرقته الأحلام الجنونية وسيطر عليه الغرور والمبالغة فى تقدير فعالية آلة الحرب الألمانية التى حققت انتصارات مذهلة فى بداية الحرب العالمية الثانية ، وكان هذا الغرور ، وكانت تلك المبالغة فى

تقدير فعالية آلة الحرب الألمانية هما السببان فى هلاك هتلر وهزيمة ألمانيا فى نهاية الحرب العالمية الثانية عندما اعتقد هتلر أنه يستطيع أن يهزم كل جيوش الحلفاء وأن يسيطر على العالم وأن تأخذ ألمانيا نصيب الأسد من كعكة المستعمرات الخاضعة للدول الأوربية فى كافة قارات العالم . وترتكز هذه الأخطاء كلها فى تفكير وسياسة هتلر على مفهوم ثابت كان مستقرا فيما يبدو فى عقلية هتلر Fixation مؤداه التفوق العنصرى للأمة الألمانية ، مما أفضى إلى استهانة هتلر بالبشر وبالناس وبكل شعوب العالم وبكل إرادة البشر والناس وشعوب العالم .

وإن الإنسان ليعجب : هل كان هتلر يتصور أن تظل قواته المسلحة مستمرة فى احتلال كل أراضى دولة مثل فرنسا مثلا ؟ إن مثل هذا التصور الذى لاشك فى أن هتلر كان يتصور إمكانية حدوثه إنما هو تصوُّر خاطئ ساذج مفرط فى الخطأ والسذاجة لسبب بسيط وواضح وقوى هو أنه قد أسقط من حسابه تماما إرادة الشعب الفرنسى العريق .

وماذا كان لدى هتلر لكى يعطيه لشعب مثل الشعب الفرنسى مثلا لكى يرضى ويخضع للاحتلال الألمانى للأراضى الفرنسية ؟ وماذا كان لدى هتلر ليعطيه للشعب المصرى لو نجح روميل فى دحر القوات البريطانية ودخل بقواته إلى مصر ؟ لا شىء سوى الغرور الذى كان يخل بتوازن هتلر ويشل تفكيره ويجعله يتجه اتجاها خاطئاً على طول الخط .